حركة التحرير الوطني
الفلسطيني
(فتح)

فتح والنظرية الثورية

(20)

دراسات تنظيمية

فتح.. والنظرية الثورية

الذين يدرسون التاريخ بكل ما في طياته من النجاح والفشل تتركز في اذهانهم مجموعة العوامل التي ادت إلى نجاح احد الاطراف في قضية ما وفشل الطرف الآخر. وتاريخ الحركات الثورية في العالم مليء بتجارب النجاح والفشل. واذا كانت الممارسة وحدها هي المحك الرئيسي لقدرة كافة العوامل على اثبات صحتها او عدمه فان الفكر السياسي هو اول ما تضعه الممارسة على المحك حيث انه منها وبها يتزود وهي منه وبه تنطلق. الفكر السياسي في الحركات الثورية التي هي دليل العمل للحركة. ومهما كانت عملية النظرية وصحتها فانها تظل حبرا على ورق إلى ان تتحول بالممارسة إلى واقع. ومهما كانت الممارسة جدية ومخلصة وصادقة ومهما كانت التضحيات التي تقدمها، فان فعاليتها تظل صفرا في غياب النظرية وما لم تتولد منها وتتطور بها نظريتها، التي تشكل دليل العمل الاوضح لممارسة المستقبل حيث ان العفوية والارتجال والتجريبية قد تعطي انجازات مرحلية ولكنها لا تصنع النصر الحقيقي.. (**وانه اذا كان صحيحا ان ثورة ما قد تفشل مع انها ترتكز إلى نظريات متكاملة فما من احد قام بثورة ناجحة حتى الان بدون نظرية ثورية**)*

ان الاصوات التي تحاول ان تتهم فتح بانها لا تمتلك نظرية ثورية تهدف إلى الطعن في ثورية فتح نفسها على اساس انه **"لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية"**. ومن المؤلم ان الذين يتحدثون عن النظرية يفهمونها باشكال مختلفة ويخلطون بينها وبين الإيديولوجية حينا وبرنامج العمل حينا آخر. كما انهم يفهمونها بشكل جامد محدد دونما ارتباط بالمرحلة التاريخية التي تتصدى الحركة للتفاعل مع واقعها للانتقال به تطوريا. ولكي يصبح تحديد مفهوم **النظرية الثورية** واضحا لدينا فاننا سنبدأ بتحديد مفهوم الثورة اولا.. وعلى اساس هذا المفهوم نحدد مفهوم النظرية الثورية.

ماذا نعني بالثورة؟

الثورة تغيير جذري في الواقع الفاسد، تقوم به حركة ثورية مستخدمة اسلوبا ثوريا لنقل الواقع إلى مرحلة جديدة.

ان تاريخ الانسانية هو تاريخ مجتمعات متعاقبة يمثل الانتقال عبرها سلم التطور التقدمي للانسانية. فالانتقال من مرحلة اجتماعية محددة إلى المرحلة التي تليها يتم عبر التغيير الجذري في المرحلة الاولى لتحقيق الواقع الجديد الذي لا يلبث ان يصبح كسواه فيتجدد.. وهكذا. لقد كان انتقال الانسان من مجتمع الرق إلى مجتمع الاقطاع، تطورا في مفهوم التحرر الانساني. ولقد عبرت الثورة الفرنسية بشكل محدد وواضح عن الانتقال من مرحلة الاقطاع إلى مرحلة الرأسمالية.

وتأخذ الثورة اسماء مختلفة للحلقة المركزية المستهدفة في التغيير. فعندما يكون فساد الواقع ناتجا عن وقوع الوطن تحت الاحتلال فان الثورة تتصدى لانجاز مرحلة التحرر الوطني ولهذا فهي ثورة تحرر وطني، تقودها حركة تحرر وطني تعمل على خلق جبهة وطنية متحدة من كافة القوى ذات المصلحة الحقيقية في طرد العدو المحتل وتحرير الوطن.

واذا كان فساد الواقع ناجما عن عجز القوى القديمة التي تمثل السلطة، على اختلاف انماطها واشكالها من مواجهة متطلبات المجتمع القائم، فان الاطاحة بالواقع الاجتماعي الذي عفا عليه الزمن واقامة نظام اجتماعي تقدمي جديد يتم عبر الثورة الاجتماعية فتكتمل عملية الارتقاء أي النضج التدريجي لعناصر او ارهاصات نظام اجتماعي جديد في رحم المجتمع القديم. وتحل الثورة الاجتماعية

التناقض بين قوى الانتاج الجديدة وعلاقات الانتاج القديمة وتقضي على العلاقات البالية للانتاج، ونتيجة للثورات تتحقق متطلبات القانون القائل بان علاقات الانتاج مع طبيعة قوى الانتاج.

والمشكلة الرئيسية في كل ثورة هي مشكلة السلطة السياسية فنقل السلطة من ايدي الطبقة الرجعية الحاكمة إلى ايدي الطبقة الثورية، يتحقق عن طريق الصراع الطبقي الحاد والثورة الاجتماعية هي اعلى اشكال الصراع الطبقي وخلال الحقب الثورية تهب جماهير الشعب العريضة إلى كفاح واع بعد ان كانت تنأى عن هذا الكفاح من قبل.

ويجب ان لا يحدث التباس بين الثورات وما يسمى بالانقلابات واشكال التمرد. فالانقلابات تغير قمة القطب الحاكم وتحل محلها اشخاصا، افراد او جماعات، من داخل الطبقة نفسها التي لها الحكم، او تتبنى ايديولوجيتها بعد وصولها للحكم. وتحدد طابع الثورات المهام الاجتماعية التي تحققها والقوى الاجتماعية التي تشارك فيها. وتتميز الثورة الاشتراكية تميزا واضحا عن جميع الثورات نظرا لانها تحدث تغييرات أكثر عمقا في حياة الناس، فهي تقضي على الطبقات المستغلة، وتستأصل جميع اشكال استغلال الانسان للانسان.

وبجانب الثورات الاشتراكية يكون لثورات التحرر الوطني والانواع المختلفة لحركات التحرر الوطني الديمقراطي دلالة كبيرة خلال هذه الحقبة. فهذه الثورات تقضي على النظام الاستعماري المتداعي الخاص بالامبريالية، وتكيل ضربات اقوى لمؤخرته.

ان الثورات الاشتراكية وثورات التحرر الوطني المعادية للامبريالية وثورات الديمقراطية الشعبية واشكال الكفاح الشعبي للاطاحة بالانظمة الفاشية والانظمة المستبدة الاخرى والحركات الديمقراطية العامة ضد الاضطهاد القومي، كل هذا تتضافر في عملية ثورية على نطاق عالمي تقوم بتقويض وتدمير الرأسمالية.

ان تعريف الثورة بانها التغيير الجذري للواقع الفاسد يجعلنا نحدد النظرية الثورية بانها نظرية التغيير الجذري للواقع الفاسد. ولكن ماذا تعني كلمة نظرية، ما هو المفهوم الذي تعبر عنه هذه الكلمة؟

ان مفهوم النظرية في العلوم الانسانية يختلف عن مفهومها في العلوم الطبيعية والرياضية. بالنسبة لعالم الرياضة تتكون النظرية **من مجموعة من العلاقات المنسقة المؤكدة بين متغيرات كمية محددة بحيث اذا طبقت على العالم الطبيعي "الفيزيقي" تتحول إلى تنبؤات قاطعة بما يحدث اذا سادت ظروف معينة.**

فنظرية فيثاغورس في الهندسة المستوية مثلا تنص على ان مساحة المربع المنشأ على الوتر في المثلث القائم الزاوية تساوى مجموع مساحة المربعين المنشأين على الضلعين الاخرين.

ان العلاقة بين هذه المساحات تظل قاطعة ومؤكدة سواء كان المثلث مرسوما على الورق او الخشب او الرخام ما دامت ظروف الهندسة المستوية هي السائدة.

اما في العلوم الانسانية فالنظرية غالبا ما تعني **نظاما مرجعيا او مجموعة من التعريفات والعلاقات بين مسميات مستخرجة من مشاهدات فعلية او تأملية.**

فالنظرية الثورية كنظرية تغيير جذري للواقع الفاسد تحدد اول ما تحدد **الهدف** الذي تسعى اليه. وهو اول التعريفات التي يجب ان تكون واضحة لانها تشكل الركن الاول من اركان النظرية الثورية.

وبعد ان يتحدد الهدف فان الوصول اليه يتطلب معرفة واعية محددة **للواقع الفاسد المنوي تغييره جذريا. وتحديد** هذا الواقع علميا يشكل الركن الثاني من اركان النظرية لانه يحدد **المنطلق**

الذي منه يتم التوجه نحو الهدف.

وتكمن اهمية التحديد السليم للمنطق بانه يحدد الاختيار السليم للركن الثالث من اركان النظرية وهو كيف نصل إلى الهدف.. كيف ننطلق من حيث نحن إلى حيث نريد. وهذا الركن هو الاسلوب.

ان اهمية النظرية الثورية الصحيحة والواضحة هي انها تمتلك قاعدة متلامسة مع الواقع وليست مجرد احلام معلقة في الهواء او قوانين لا جدال في صحتها ولكنها ليست في متناول يد الذين سيقاتلون بها، ليست في يد الجماهير.

والنظرية الثورية النابعة من ارض الواقع بتحليلها العلمي الصحيح له تحدد وبصورة واضحة ايضا الهدف والطموح والاسلوب الذي به تنتقل من الواقع الذي تسعى لتغييره إلى الواقع الذي تطمح اليه.

والموضوح في النظرية الثورية اساس لصحتها. حيث ان الجماهير البسيطة التي بها تتحول النظرية إلى واقع لا تستطيع التعامل مع الالغاز او الخوض في المسيرة الجدية دونما دليل يرشدها من أين والى اين وكيف؟ وما الذي ينبغي عليها ان تفعله في كل ظرف يحتمل ان يواجهها وكيف ستتصدى لكل مشكلة ستواجهها؟؟

وتمتلك النظرية الثورية صحتها من خلال تفاعلها مع نتائج تطبيقها ومعطياته. ان التصور بان النظريات الثورية قوالب جامدة يمكن تطبيقها نسخا دونما تأثر بالزمان والمكان هو تصور خاطئ.

وعندما اشرنا للنظرية على انها دليل عمل فاننا نقصد انها تضع الخطوط الاساسية للممارسة والتي تتأثر بتغير المكان والزمان والعوامل التي بتحليلها الاولي ولدت النظرية. ان التغير في الواقع مع المسيرة الثورية يتطلب ديناميكية خاصة لتطبيق النظرية على الواقع المحددة ضمن خطها الاساسي.

والانسان هو الاساس في عملية الصراع فمنه ينطلق الفكر الذي يحدد منطلقه واهدافه واساليبه لتحقيق الاهداف. وتلعب المحاكمة العقلية للانسان دورها بعد الممارسة حيث ان الواقع التحليلي الذي كان سائدا قبل الممارسة سيختلف بصورة او باخرى بعدها. فالممارسة تعطي مردودا ايجابيا في التغيير اذا التزمت بالمفهوم الصحيح للنظرية سواء اكانت النتائج العملية سلبية او ايجابية، حيث انها ستغني النظرية بالنفي او التأكيد لبعض العوامل التي خضع استنباط النظرية لتحليلها. ولكن الممارسة على اساس المفهوم الخاطئ للنظرية تشكل اول مظاهر الخطأ الذي يجب ان يخضع للنقد سواء اكانت نتائجه المنظورة ايجابية او سلبية. ويعتمد استنباط النظرية الثورية اساسا على خط الجماهير. فالجماهير تشكل اهم العوامل التي يعطي تحليل واقعها تحديدا للمنطق والاسلوب وطموحها تحديدا للهدف.

ان الاختلاف في تحديد المنطق بين نظرية واخرى، يعتمد على اختلاف الواقع الخاضع للتحليل او على اختلاف المنهجية في تحليل نفس الواقع. فالنظريات الثورية تعتمد الاسلوب العلمي في التحليل. واختلاف النظريات الثورية في تحديد منطلقاتها واهدافها واساليبها يرجع إلى اختلاف الظروف في الزمان والمكان لكل حركة ثورية. فاذا كانت الجماهير تعاني من وضع استغلالي بواسطة طبقة مستغلة داخلية فان العدالة الاجتماعية تكون هدفا محددا ويصبح الصراع ذو سمة طبقية وتكون الثورة الاجتماعية. اما اذا كانت الجماهير الغفيرة تعاني من استعمار خارجي فان اول ما يهمها هو طرد الاستعمار من ارضها. ولكي تحقق هذا الهدف فان الحركة الثورية تجد نفسها في وضع يفرض عليها خلق التحالفات مع كافة الطبقات في المجتمع والتي لها مصلحة في طرد الاستعمار وان تفاوتت درجة هذه المصلحة بين طبقة واخرى. ولكن الحركة الثورية تعزل وبقوة كل الفئات التي ترتبط بالقوة المستعمرة، والتي لها مصلحة في استمرار الواقع. وفي هذه الحالة تتداخل الثورة الاجتماعية ومرحلة التحرير الوطني بدرجات متفاوتة في اطار مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية. اما اذا كانت الجماهير تعاني من

استعمار استيطاني لارضها ويطردها منها لتتحول إلى العيش في واقع مشرد ومبعثر.فان الجماهير المشردة تجد نفسها في وضع مشابه تغيب فيه الفوارق الطبقية في مخيمات المنفى والانتظار وان كانت اصولها الطبقية فوق ارضها قبل تشريدها متفاوتة. ان اهم اهداف الجماهير المشردة هو العودة إلى ارضها، وتحرير ترابها من العدو المغتصب. وتكون مهمة الحركة الثورية في هذه الحالة تجميع كافة القوى على اساس مفهوم ثوري يحدد اهدافه المرحلية بتحرير الارض حتى تستطيع الحركة الثورية ان تستقطب كل القوى الوطنية ضمن هذا المفهوم. مع التأكيد على قيادة الحركة الثورية لمرحلة التحرير الوطني.

وتنبع اهمية النظرية الثورية لمرحلة التحرير الوطني بأنها تحدد الاولويات في جدول اعمالها، لذلك فانها لا تغرق في نظرية الصراع الطبقي الذي يسعى لحل التناقضات بين صفوف الشعب الواحد، ولا تميع هذا الصراع بدرجة تجعل مرحلة ما بعد التحرير واقعا مبهما. فوحدة الجماهير المشاركة في المأساة بنفس الدرجة لا يجعلنا نتشارك في مرحلة ما بعد النصر بنفس الدرجة. ان مرحلة التحرر الوطني تؤكد دائما على ان **الارض بعد تحريرها هي ملك للسواعد التي تحررها، والتي تضحي من اجلها**. وبذلك فان المضمون الاجتماعي الذي تحمله النظرية الثورية في مرحلة التحرير الوطني هو لمصلحة طبقة الثوار الذين تنحدر غالبيتهم العظمى من الجماهير الشعبية المسحوقة.

ان هذه المقدمة حول مفهوم النظرية الثورية في الظروف التاريخية المختلفة تسهل علينا فهم نظرية فتح المتطابقة مع النظرية الثورية **لمرحلة التحرر الوطني**. ولتعميق هذا الفهم فاننا سنعود إلى الاصول التاريخية التي دفعت الطلائع الفلسطينية إلى التفكير بضرورة التحرك على مستوى الجماهير العربية لتندفع آخذة دورها الفعال في معركة التحرير. فلقد تضمن هيكل البناء الثوري، الذي هو اول الوثائق الحركية لفتح، خطوطا واضحة لمفهوم النظرية الثورية، حيث جاء في هيكل البناء الثوري حول تحديد الهدف ما نصه:

"ماذا نريد بثورتنا؟

ان الهدف الرئيسي لثورتنا هو العمل على تحرير ارض فلسطين المحتلة كاملا وتصفية الغزو الصهيوني الاستعماري لوطننا الحبيب حتى تعود فلسطين بكاملها جزءا عربيا حرا من الوطن العربي".

ان تحديد الهدف بهذا الوضوح دفع طلائع فتح إلى ان تقوم بدراسة الواقع لتستخلص من خلاله مبادئ ومنطلقات تشكل اساسا لممارستها الثورية. وحول هذا الموضوع جاءت نصوص هيكل البناء الثوري لتحدد واقع الشعب الفلسطيني والقوى التي يمكن ان تكون معه وواقع العدو الصهيوني والقوى التي تسانده لتستخلص في النهاية الاسلوب الصحيح الذي به يمكن لشعب صغير مشرد ان ينتصر على قوى عدوانية متفوقة.

فحول اوضاع شعبنا المشرد ينص هيكل البناء الثوري على ما يلي:

"فمنذ اليوم الذي بدأ فيه المستعمرون والصهاينة وضع الفصل الاخير لمأساتنا، مأساة وطننا، عملوا مع اذنابهم من الحكام العرب على حرمان الشعب العربي في فلسطين من كل عون يمكن ان يواجه به شعبنا في ميدان المعركة.

وحين وقعت المؤامرة الرهيبة تحمل في طياتها الهزيمة لامتنا كلها.. بدأ شعبنا يواجه المصير الاسود حيث معسكرات يقذف داخل اسلاكها الشائكة جزء من شعبنا ليحجز فيها محاطا بالحراسة المشددة وليعامل بأقسى من معاملة المعتقلين من الاعداء وتحتوي المغائر والكهوف والثكنات المتداعية وسياسة الشقاء جزءا آخر.. بينما تصبغ الوان من القلق الدائم والرعب المفزع والمصير المجهول حول الذين يعيشون في ظل الارهاب البربري وتنكيله وبطشه في ارضنا المحتلة كما تناثرت بقايا شعبنا في

كل ارض.. تمزق شملنا وتبعثرت قوانا وهمنا على وجوهنا في فلوات الضياع وصحاري الحرمان تدمي ظهورنا حيثما حللنا سياط ملتهبة من الكرامة المهيضة والمذلة المريرة.. وتترصد حياتنا اعاصير الموت القاتل او الفناء الموجه.. ووحوش التجويع والمرض والفرقة والاذلال والياس والظلم والتخاذل...

وحيثما اتجهنا في ديار العروبة فرضوا علينا ان نسكت وحرموا علينا ان نعمل لوطننا ولم يدعوا لنا مجالا نوحد فيه صفوفنا ونداوي فيه جراحنا، قيدونا على كل حركة من اجل خلاصنا واستمروا يفرضون على شعبنا وصايتهم في كل شؤوننا وعللونا بالامنيات.. وبتنا كلما لاحت في افق عالمنا العربي اضواء امل حملناها الكثير واكثر مما يجب من الامال.

ومضت بشعبنا الاعوام تزيد جراح مأساتنا عمقا واتساعا وتسمما.. فالذين فرضوا وصيتهم على شعبنا يمعنون في تضييق الخناق علينا.. ويتمادون في كتم انفاسنا واخماد صرخاتنا.. في شل حركتنا وتحطيم امنياتنا بتعبئة قوى شعبنا وتنظيم انفسنا. وعاش شعبنا ظروفا رهيبة نقاسي اينما كنا آثارها."

"لقد غادرنا ديارنا الحبيبة وفي عيوننا دموع الحنين والامل بالعودة المظفرة في غد قريب لن يطول عن ايام قليلة.. ولكننا لم نحصد غير الحسرة. وبدأت تجف في محاجرنا دموع الامل لنذرف بدلها دموع الخيبة.. دموع ويتلفت شعبنا حوله... فيرى الجميع يتحدث باسمه وهو لا يدري.. فهو لا يؤخذ له رأي.. ولا تحترم له ارادة ويمنع عن التعبير عن آلامه وآماله في وقت يعبر الاوصياء فيه نيابة عنه بمطالب لا يرضاها او يقبل بها...

وفي غمرة ابعاد شعبنا عن قضية بلاده وغيابه كطرف اساسي عن حلبتها كان العالم كله ينظر إلى الدول العربية كغرباء عن القضية.. دخلاء عليها مهما حاولوا جهدهم ان يلبسوا هذه الحقيقة ثوب الاخوة او الجوار او الدفاع عن النفس او غير ذلك.. ونتيجة لتخاذل هذه الدول وانسياقها خلف المستعمر مضى عدونا يجول الحلبة الدولية ويصول وحيدا ويقنع العالم بباطله.. ويحقق ما يدعم وجوده ويضمن له الحماية المعنوية والمادية لكيانه في وقت غاب عنها صوت فلسطين العربي."

"وخلال الظلمات التي تزداد كثافة لا يرى شعبنا في تلفته غير الحيرة والتخبط الفوضى تشمل كل ركن من حياة ابنائه في كل مكان.. وغير التخاذل والفرقة والصراع الذي يطحن قوى امتنا ولا يجد غير النظرات السوداء تغطية بالشك والاتهام.. وغير المتاعب القاسية والالام العنيفة والمهانة المريرة.. وغير الاماني والوعود.. والمفورات العارضة او الهبات الحماسية في المناسبات تبدد في تياراتها طاقتنا وحيويتنا.. تلك كلها وقائع حياتنا في كل مكان.

وهكذا...

عاش شعبنا مشردا في كل قطر ذليلا في مواطن الهجرة.. بلا وطن.. بلا كرامة.. بلا قيادة.. بلا امل.. بلا توجيه.. بلا سلاح.. بلا عون.. بلا رابطة.. بلا احترام.. بلا وجود. عاش يقاسي مرارات الفرقة وشدة الاصرار على تمزيق شمله ومنع جماهيره من ان تصنع لنفسها الطريق السوي لتحرير الديار المغتصبة.

وطوال الاعوام الطويلة الماضية علقنا الامال وانتظرنا كثيرا وصبرنا طويلا.. حتى ذاب كل امل.. وتحطمت في اعماقنا كل ما تطيقه النفس البشرية من ركائز الصبر واصبح الانتظار يزيد حياتنا تعقيدا.

مضت الاعوام.. لم يمنحونا أي فرصة نوحد فيها او نحشد طاقاتنا.. وننظم خلالها قوى شعبنا لنتولى زمام قضيتنا. ولم يخط شعبنا في ظل الوصاية خطوة واحدة إلى الامام.. بل مضت اوضاعنا تنحدر إلى حضيض مفزع ولم تتزحزح خطوط الهدنة شبرا واحدا إلى الوراء.. بل على العكس إلى الامام فهي تتسع على حساب ارضنا العربية حيث يبتلع اعدائنا كل يوم ارضا جديدة كالمناطق المجردة من آثار

الاخطاء المتعمدة في خرائط وقعتها الايدي السوداء في جريمة الاتفاق برودس. ان يد الواقع لتقذف في وجوهنا الحقيقة المرة المرعبة.. التي تصرح ان شيئا من اوضاع شعبنا لم يتغير وما نرى هذا الشعب الا يزدهر جراحا وعذابا وضحايا وآلاما.. وصدمات.. واغلالا.. وضياعا..."

وحول واقع الاعداء ينص الهيكل على ما يلي:

"وعدونا يزداد مع مرور الايام قوة وتمكنا.. والزمن في جانبه.. فهو يبني في ارضنا المحتلة ويعمر ويشيد القلاع والحصون ويملؤها بالسلاح والعتاد ويحشد الجند والمحاربين ويأتي بالملايين من يهود العالم استعدادا لمعركة يهيء لها نفسه وجولة قادمة يتربص الفرصة ليحقق فيها امنياته الكبرى في التوسع والامتداد.. وواقع امتنا بفرقته وقعوده على مواجهة عدونا على مستوى المعركة المصيرية وبالامن والسلام الذي نمنحه لعدونا بتقاعسنا وتخاذلنا وسكوتنا على اعداده وتربصه يزيد اقدامه على ارضنا رسوخا ويزيد معركة الثأر خطورة وضراوة وتكاليفا ويزيد ديارنا الغالية عن عيوننا بعادا."

وحول واقع الرأي العام العالمي وموقفه من قضية شعبنا نص الهيكل تحت عنوان اسطورة الضمير العالمي على ما يلي:

"وقوى التآمر الدولي التي آزرت اعدائنا وعززت كيانها في غفلة الضمير العالمي او ايقاظه.. ما زالت تهبهم حمايتها.. وتضع عليهم رعايتها، ما زالت تسعى جاهدة بكل ما تملك من وسائل الاغراء والوعيد.. او التآمر والخداع والتحذير.. لتصفية قضيتنا بتجزئتها وفرض انصاف الحلول وتمهيد الظروف الملائمة لتحقيق الصلح الاجرامي مع الغزاة الصهاينة.

وقد نام الضمير الانساني عن حقنا.. ولم توقظه اناتنا وصرخات استغاثاتنا بينما لم يبخل على اعدائنا بالمؤازرة والتشجيع. والتشجيع والحماية والتصفيق لجريمة اقامة دولتهم على اشلائنا، راكلا كل مقتضيات الحق والعدل والانصاف، واول متنكر لمبادئ حقوق الانسان وميثاق الامم المتحدة.. وحين يذكر الضمير العالمي مأساتنا يجود علينا بدموع الشفقة والتحسر وما عهدنا في عصرنا هذا من يصغي للمستضعفين.. او يستجيب لغير نداءات الاقوياء الثائرين."

لا بد ان نتحرك:

من هنا...

من هذا الواقع الرهيب.. ومن ركام الالام وامواج المآسي والمرارات... ومن خلال البحث عن الوجود والكرامة في ظلال الوطن الام.. كان لا بد ان يتحرك شعبنا بعد ان احرقت نيران الانتظار الطويل كل امل بفرج قريب.

كان لا بد للطليعة الثورية التي تدرك مسؤوليتها ان ترسم طريقها.. وتحدد خطوط سيرها في اطار الواقع المحيط.. وبعيدا عن الارتجال والعفوية على اسس متفتحة واعية لسائر الظروف والاعتبارات ومدركة لجميع التيارات والاتجاهات المؤثرة على قضيتنا وشعبنا في سائر المجالات المحلية والعربية والدولية.

ولم تجد هذه الطليعة سبيلا لانقاذ شعبنا مما يحيطه.. وبعث قضيتنا من اكفان هذا الجمود القاتل وتطهير ارضنا من جيش الاحتلال الصهيوني الاستعماري غير سبيل الثورة.. فالثورة هي السبيل الذي تفرض ضرورته قسوة ظروف شعبنا حقيقة واقعة ويمليه منطق التاريخ والتطور الطبيعي لواقعنا واوضاعنا وقضيتنا.

انها الثورة... ليس لنا غيرها سبيلا...

او نستسلم بما يحيط بنا من ظروف ونصمت على واقعنا ونركن إلى اتكالياتنا.. ونعلل تقصيرنا وسكوننا... ونفلسف بشتى الاعذار جريمة تخاذلنا وتربيتنا.. وبهذا نصنع نهايتنا المحتمة ونكتب لانفسنا اننا شعب رضي المذلة ونام على الضيم والهوان.. وبيده يكتب نهايته ويدفن نفسه وحاشا لشعبنا الثائر ان يكون كذلك او يرضى بمثله.

بالثورة... نعلن ارادتنا ونفرض طريقنا الذي لا طريق سواه.

بالثورة... نضع نهاية لهذا الاستسلام المرير.. وهذا الحال المرعب الذي يعيشه ابناء النكبة في كل مكان.

بالثورة.. نعيد لشعبنا ثقته بنفسه وقدرته.. ونعيد للعالم ثقته بنا واحترامه لنا.

حين دوى نفير الحرية ودق ناقوسها مجلجلا يوقظ الشعوب في اطراف الارض كلها هبت من سائر اركانها القريبة والبعيدة النائية لتمضي باعتزاز وثقة قافلة الحياة الكريمة حياة الحرية.. والاستقلال والتخلص من ظلام الاستعمار والاحتلال.. وتتطلع عيون احرار العالم باحثة عن شعب فلسطين العربي الذي كان رائدا من رواد البطولة والتضحية والفداء وثورته لاهبة على طغيان المستعمرين والغزاة.. فلا تجد؟.. وتغطي عيون الاحرار الاسى والحسرة حين تدرك ان هذا الشعب الابي يعيش في اغلال اوصياء.. سلاسل الاستسلام والتخدير والانتظار... وبينما يقف شعبنا ليرقب ذلك الركب الصاعد فرحا بانتصارات الشعوب الضعيفة خلاصها وتحريرها تلسع اعماقه مرارة ما ابتلى من نكبة حرمته التمتع بنعمة الحرية والعيش في ظلال الكرامة.

اننا سنفرض بثورتنا حقيقة غابت طويلا مع غياب شعبنا عن ميدان المعركة وهي ان شعبنا لم يهن ولم يستكن.. وكنا طوال السنوات التي غبنا فيها عن ارض المعركة نناضل بصمود ضد اعتى المؤامرات المتوالية على قضيتنا وشعبنا لتجزئتها وتصفيتها وبقاء تشريدنا وعذابنا.

واذ نشق طريقنا خلال الظلمات المأساة المتراكمة سنمضي بعقيدة المؤمنين وعزم الثائرين على وهج نيران الثورة... ناسوا جراحنا ونصنع امجادنا... ونبدأ الطريق الصحيح بتحرير ارضنا.

ويوم تخفق راية الثورة سيسندنا اخوة العروبة.. وسيقف معنا احرار العالم وستهتف الدنيا لنا لاننا يومها ثوار. ثوار من اجل الحق والكرامة والعدل والشرف والانسانية".

واستكمالا لما ورد من نصوص حول نظرية فتح في هيكل البناء الثوري جاء بيان حركتنا ليعطي تعريفا واضحا عن فتح.. عن حركة الشعب الفلسطيني.. ليحدد بوضوح اكثر تطورا.. من نحن؟.. ماذا نريد؟.. وكيف نحقق ما نريد؟. فلقد نص بيان حركتنا على ما يلي:

"وان التهيئة لثورة لتحرير ديارنا السليبة قد اعادت الطمأنينة إلى النفوس المنكوبة وهدهدت حدة الالام التي يرزح شعبنا تحت وطأتها فأمتلات نفوس شعبنا بالثقة بقدرته على تحرير وطنه من الغزاة الصهاينة.

لقد فشل جميع من عالجوا قضيتنا لاننا كنا دائما مبعدين عنها. لذا كان شعبنا في امس الحاجة إلى طليعة تنظيم في حركة منظمة تقوده للثورة التي يراها السبيل القويم لمعالجة قضيته وازالة نكبته.

حركتنا...

حركتنا.. حركة وطنية ثورية منبثقة من صميم ارادة الشعب العربي الفلسطيني ووجدانه.
حركتنا.. حركة تدعو الشعب الفلسطيني إلى الوحدة الوطنية الفلسطينية.
حركتنا.. حركة تهدف لخلق الشخصية العربية الفلسطينية في الوجود العربي الدولي.
حركتنا.. بعيدة عن الاقليمية وتؤمن بان فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير.

المبادئ الاساسية للحركة

ان المبادئ الاساسية التي تؤمن بها حركتنا هي:

1. فلسطين جزء من الوطن العربي والشعب الفلسطيني جزء من الا مة العربية وكفاحه جزء من كفاحها.
2. الشعب الفلسطيني ذو شخصية مستقلة وصاحب الحق في تقرير مصيره وله السيادة المطلقة على جميع اراضيه.
3. الشعب الفلسطيني طليعة الامة العربية في معركة التحرير المصيرية.
4. نضال الشعب الفلسطيني جزء من النضال المشترك لشعوب العالم ضد الصهيونية والاستعمار والامبريالية.
5. معركة تحرير فلسطين واجب قومي تسهم فيه الا مة العربية بكل امكانياتها وطاقاتها المادية والمعنوية.
6. المشاريع والاتفاقات والقرارات التي صدرت او تصدر عن هيئة الامم المتحدة او مجموعة من الدول او اية دولة متفردة بشأن قضية فلسطين والتي تهدر حق الشعب الفلسطيني في وطنه باطلة ومرفوضة.
7. الحركة الصهيونية حركة عنصرية استعمارية شبيهة بالحركة الفاشية والنازية.
8. اسرائيل قاعدة استعمارية واداة في يد الامبريالية العالمية.
9. الدفاع عن الديار المقدسة واجب عربي وديني وانساني.

اهداف الحركة

ان الاهداف التي تسعى اليها حركتنا هي:

1. تحرير فلسطين تحريرا كاملا وتصفية دولة الاحتلال الصهيوني سياسيا وعسكريا واجتماعيا وفكريا.
2. اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة تحفظ للمواطنين الاصليين حقوقهم الشرعية دون تمييز في الدين او العقيدة وتكون القدس عاصمة لها.
3. بناء مجتمع تقدمي يضمن حقوق الانسان ويكفل الحريات العامة لكافة المواطنين.
4. المشاركة الفعالة في تحقيق اهداف الا مة العربية في تحرير اقطارها وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد.
5. مساندة الشعوب المضطهدة في كفاحها لتحرير اوطانها وتقرير مصيرها من اجل بناء صرح السلام العالمي على اسس عادلة.

وتؤمن الحركة بضرورة الحياد في طريقها.. فلن تنحاز لاي جبهة ضد الاخرى ولكنها ستكون بالمرصاد لاي جبهة تضر بمصالح القضية الفلسطينية.

وهي ستقبل العون غير المشروط من المصادر النظيفة... وستمضي في طريقها مستنيرة بآراء المخلصين في دنيا العرب غير تابعة.. ولا خاضعة او موجهة بل مدفوعة بقوة الشعب العربي في كل مكان.

اسلوب الحركة

ان اسلوب حركتنا من اجل الوصول إلى اهدافنا هو:

1. الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين بالاعتماد على الشعب العربي الفلسطيني كطليعة واساس وعلى الا مة العربية كمرتكز كبير للتنفس من خلا له تدريبا اعدادا وامدادا ومشاركة.
2. التأكيد على كون الكفاح المسلح استراتيجية وليس تكتيكا، واعتبار الثورة المسلحة للشعب العربي الفلسطيني عاملا حاسما في معركة التحرير وتصفية الوجود الصهيوني. وبالتالي لن يتوقف هذا الكفاح الا بالقضاء على مصدر العدوان وبتحرير فلسطين.
3. السعي للقاء كل القوى الوطنية العاملة على ارض المعركة من خلال العمل المسلح لتحقيق الوحدة الوطنية لان المرحلة الحالية هي مرحلة العمل الوطني ضد العدو المحتل وهي تقتضي الوحدة الوطنية التي لا يمكن ان تتحقق عن طريق المفاوضات او المساومات او المزايدات المصلحية السياسية خارج المعركة.
4. العمل على ابراز الشخصية الفلسطينية بمحتواها النضالي الثوري في الحقل الدولي، وهذا لا يتناقض مع الارتباط المصيري بين الامة العربية والشعب العربي الفلسطيني.

5. مقاومة كل الحلول السياسية كبديل عن تصفية الكيان الصهيوني المحتل في فلسطين وكل المشاريع الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية او تدويلها او فرض الوصاية على شعبها من اية جهة.
6. تقيم قيادة الكفاح المسلح مع الدول العربية الرسمية علاقات تهدف إلى تطوير الجوانب الايجابية في مواقف هذه الدول بشرط الا يتأثر بذلك امن الكفاح المسلح واستمراره وتصاعده.
7. تحقيق الترابط الفعلي بين الامة العربية والشعب الفلسطيني باشراك الجماهير في المعركة من خلال الجبهة العربية المساندة للثورة.
8. اقامة اوثق الصلات مع القوى التحررية في العالم المناهضة للصهيونية وللامبريالية والتي تدعم كفاحنا المسلح العادل.
9. العمل على اقناع الدول المعنية في العالم بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين كاسهام منها في حل المشكلة".

ان آخر الوثائق الحركية التي اقرها المؤتمر الثالث للحركة هي النظام الداخلي الذي يشتمل بابه الاول على المواد المتعلقة بالمبادئ والاهداف والاسلوب. ورغم قلة التغيرات التي طرأت على نصوص المبادئ والاهداف والاسلوب والواردة في بيان حركتنا، فاننا سنستخلص من النصوص التي اقرها المؤتمر الثالث للحركة حول المبادئ والاهداف والاسلوب ومقدمة النظام، الفهم المتكامل والمتطور لنظرية فتح منطلقين من تحديد القوى في معسكر الثورة الفلسطينية واصدقائها والقوى في معسكر العدو.

قوى معسكر الثورة

يحدد النظام الداخلي في مقدمته الاسس التي يقوم عليها والتي ينص البند الاول فيها على ما يلي:

"ان الثورة الشعبية المسلحة التي نخوضها تنطلق من موقف مبدئي وهو ان قضيتنا هي قضية الجماهير وليست قضية فئة ميزة منفصلة عن هذه الجماهير. وان الشعب قادر على ممارسة النضال بكفاءة عالية وحدس صادق وعزيمة قوية وهو القائد الحقيقي للثورة والحامي المخلص **للتنظيم الثوري**".

وفي هذا المجال ينص البند الثاني في المفاهيم الاساسية التي يقوم عليها النظام بما يلي:

"الثورة للشعب بكل **جماهيره التي تخوض الثورة وتمارسها** والحركة هي التنظيم الثوري القائد. وعلى هذا الاساس فانها هي القوة التنظيمية صاحبة الحق في توجيه الثورة.

والنص الثاني اكثر تحديدا لمفهوم الجماهير الشعبية، حيث حصرها بانها التي تخوض الثورة وتمارسها. ولهذا فان المادة(11 من النظام تنص على ما يلي:

"الجماهير التي تخوض الثورة وتقوم بالتحرير هي صاحبة الارض ومالكة فلسطين".

اما الفئات التي تتفرج على الثوار او التي تقف في صفوف الاعداء فانها تضع نفسها خارج معسكر الثورة.

مما تقدم فاننا نحدد القوتين الاساسيتين للثورة الفلسطينية بما يلي:

1. تنظيم حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح التي تمثل الطليعة الثورية للشعب الفلسطيني. (المادة 10 من النظام).
2. الجماهير التي تخوض الثورة وتقوم بالتحرير (المادة 11).

اضافة إلى هاتين القوتين فان النظام الداخلي ينص في مادته الخامسة على ما يلي:

"معركة تحرير فلسطين واجب قومي تسهم فيه الامة العربية بكافة امكانياتها وطاقاتها المادية والمعنوية". وتنص المادة الاولى على ان "فلسطين جزء من الوطن العربي والشعب الفلسطيني جزء من الامة العربية وكفاحه جزء من كفاحها.

ان هذه النصوص تضيف إلى معسكر الثورة القوة الاساسية الثالثة وهي جماهير الامة العربية.

واضافة إلى هذه القوة المؤكدة في المادة (9 من النظام (تحرير فلسطين والدفاع عن مقدساتها واجب عربي وديني وانساني) فان المادة الرابعة تحدد ان "نضال الشعب الفلسطيني جزء من النضال المشترك لشعوب العالم ضد الصهيونية والاستعمار والامبريالية العالمية".

ومن هنا فاننا نلخص ببساطة معسكر الثورة اساسا بالقوى التالية:

1. تنظيم حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح.
2. الجماهير الشعبية الفلسطينية التي تمارس الثورة، وهذه تشمل التنظيمات الفلسطينية الغير مرتبطة بالانظمة.
3. الجماهير العربية التي تناضل عبر الثورة الفلسطينية لتجسد امتداد الامة العربية، وليس الانظمة، في الثورة الفلسطينية. وهذه القوى تمثل طليعة قوى التحرر العربي التي تسعى لا حداث التغييرات التاريخية في اقطارها عبر التوجه لساحة النضال ضد الامبريالية والصهيونية كطريق اساسي يوحد جهود الامة العربية ويؤكد ان طريق تحرير فلسطين هي طريق الوحدة.
4. القوى العالمية المعادية للصهيونية والامبريالية. ان تجربة فتح في تحديد معسكر اصدقائها واعدائها قد جعلها تكرس الاسس التي تقوم عليها نظريتها منذ نصوص هيكل البناء الثوري وعبر تجربة سقوط الشهداء الاوائل للثورة برصاص الانظمة العربية، عبر المجازر التي خسرت فيها الثورة على يد الانظمة من الضحايا اكثر مما خسرته على يد العدو الصهيوني. وحتى يكون تحديدنا لمعسكر العدو واضحا فاننا سنحدد النصوص التي تشير إلى المواقف المعادية للثورة إلى جانب النصوص التي تحدد وبوضوح اعداء الثورة.

تنص المادة السابعة من النظام على ما يلي:

"الصهيونية حركة عنصرية استعمارية عدوانية في الفكر والاهداف والتنظيم والاسلوب".

وتنص المادة الثامنة على ما يلي:

"الوجود الاسرائيلي في فلسطين هو غزو صهيوني عدواني وقاعدته استعمارية توسعية وحليف طبيعي للاستعمار والامبريالية العالمية".

واضح من هذه النصوص ان القوى الاساسية لمعسكر اعداء الثورة هي:

1. اسرائيل.
2. الصهيونية العالمية.
3. الامبريالية العالمية.

هل يقف تحديدنا للقوى المعادية للثورة عند هذا الحد؟ لقد كان شعار فتح بعد الانطلاقة في 1/1/1965، والاستمرار بعد حزيران (28/8/1967) ان **"البنادق كل البنادق نحو العدو الصهيوني"**. ولكن مؤامرات النظام الاردني جعلت فتح تطور هذا الشعار ليصبح **"البنادق كل البنادق نحو العدو الصهيوني، ونحو كل من يضع نفسه مع العدو الصهيوني في خندق واحد."** يعني ان معسكر الاعداء يضم إلى جانب اسرائيل والصهيونية العالمية والامبريالية العالمية كل القوى التي تحاول ضرب الثورة كما فعل النظام الاردني والقوى الانعزالية والنظام السوري.

ان تراجع اية قوة من هذه القوى عن موقفها إلى جانب العدو الصهيوني فعليا يجعل التناقض معها غير رئيسي وبالتالي يخرجها مرحليا من حلبة الصراع ضدها. واذا كانت المؤامرة الكبرى التي تواجه حركة فتح هي محاولة تدمير مبادئها عبر افقاد فتح والثورة الفلسطينية لاستقلالها وذلك بجعلها تابعة وخاضعة وموجهة باستراتيجية الانظمة العربية او بنظام عربي محدد كالاردن، وذلك لتمريرات اتفاقات وصفقات مع العدو الصهيوني تهدر حقوق الشعب الفلسطيني. ولهذا فان فتح تعتبر ان كل من يدفع بهذا الاتجاه الاستسلامي معاديا لها وللثورة وطموحات الشعب الفلسطيني. وقد اكدت ذلك في المادة (6) من النظام وتنص:

"المشاريع والاتفاقات والقرارات التي صدرت او تصدر عن هيئة الامم المتحدة او مجموعة من الدول او أي دولة منفردة بشأن القضية الفلسطينية والتي تهدر حق الشعب الفلسطيني في وطنه باطلة ومرفوضة.

وفي هذه المرحلة التاريخية التي تسيطر فيها اجواء التسويات السياسية تجد فتح نفسها امام ازدياد في معسكر القوى التي عليها ان تقاومها. حيث ان المادة (22 من النظام تنص على "مقاومة كل الحلول السياسية المطروحة كبديل عن تصفية الكيان الصهيوني المحتل في فلسطين، وكل المشاريع الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية او تدويلها او الوصاية على شعبها من اية جهة"

ان فتح التي استطاعت الخروج من المآزق الصعبة السابقة وذلك عبر الاستخدام الجدلي لنظريتها الثورية سواء بطرح شعار عدم التدخل في الشؤون المحلية، او باقرار البرنامج المرحلي لاقامة السلطة الوطنية المستقلة، فانها ستكون قادرة على الخروج من الازمة المرحلية لانها استطاعت بصمودها وصلابتها وتضحية الابطال من ثوارها ان تخلق لمعسكر القوى المعادية لها وللثورة الفلسطينية ازمات اكثر حدة من الازمة التي تواجهها وكما كان دائما.. كما هو اليوم.. صمود فتح يثبت صحة نظريتها الثورية.. وخطها الحتمي نحو النصر.